

جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة جيجل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

السيمولوجيا عند دي سوسير

Semiology according to Ferdinand de Saussure

السنة الأولى ماستر
من إعداد:
الدكتورة سامية بوكحيل

2024

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية المقاربة السيميولوجية عند فرديناند دي سوسير، المؤسس الأول لعلم العلامات كحقل معرفي مستقل. وتستعرض الورقة تعريف سوسير للسيميولوجيا وعلاقتها باللسانيات، ومفهوم العلامة اللغوية بثنائية الدال والمدلول، والطبيعة التعسفية للربط بينهما، ومفهوم القيمة اللغوية، إضافة إلى التمييزات المنهجية الأساسية كالتمييز بين اللسان والكلام وبين المحور التركيبي والمحراني. وتبين الورقة أن إسهامات سوسير لا تزال تشكل المرجعية النظرية الأساسية للسيميولوجيا البنيوية رغم مرور أكثر من قرن على طرحها.

الكلمات المفتاحية: السيميولوجيا، دي سوسير، العلامة اللغوية، الدال، المدلول، القيمة اللغوية، التعسف

المقدمة

يُعَدُّ فرديناند دي سوسير (1857-1913) المؤسس الأول للسيميولوجيا كعلم مستقل، حيث خصَّص جزءاً من محاضراته في اللغويات العامة لوضع الأسس النظرية لهذا العلم. وقد جاءت أفكاره من خلال ملاحظات طلابه التي جُمِعت في كتاب "محاضرات في اللغويات العامة" (1916)، الذي صار مرجعاً أساسياً في اللسانيات والسيميولوجيا معاً. وتسعى هذه الورقة إلى استعراض أبرز إسهامات سوسير في تأسيس السيميولوجيا وتحليل مفاهيمه المركزية وبيان أثرها في تطوير الفكر السيميولوجي.

أولاً: تعريف السيميولوجيا عند سوسير

عرّف سوسير السيميولوجيا بأنها "علم يدرس حياة العلامات في صميم الحياة الاجتماعية"، واعتبرها فرعاً من علم النفس العام، وقابلاً لأن يصبح علماً مستقلاً. وأوضح أن مهمتها هي توضيح ما تجعل العلامات من جملة أسباب، ووصف كل شيء من وجهة نظر العلامات. كما أكد أن اللغة ليست سوى نظام خاص من بين أنظمة العلامات، وأن فكرة السيميولوجيا لا يمكن أن تكون إلا فكرة لغوية، لأن اللغة هي النموذج المثالي للنظام السيميولوجي. وبذلك يكون سوسير قد أسس للسيميولوجيا كعلم مستقل لكنه مرتبط ارتباطاً عضوياً باللسانيات، حيث تُوفّر دراسة اللغة النموذج المنهجي لدراسة بقية أنظمة العلامات.

ثانياً: العلامة اللغوية — الدال والمدلول

يُعَدُّ مفهوم العلامة اللغوية حجر الزاوية في نظرية سوسير، حيث عرّفها كثنائية متلازمة تتألف من وجهين لا ينفصلان: الدال وهو الصورة السمعية أو البصمة النفسية للصوت، والمدلول وهو المفهوم أو الفكرة الذهنية التي يشير إليها الدال. والعلاقة بين الدال والمدلول علاقة عضوية لا يمكن فصلها، فالدال بلا مدلول صوت فارغ، والمدلول بلا دال فكرة غير معبر عنها. وقد استخدم سوسير تشبيه الورقة النقدية حيث إن الوجه والظهر لا ينفصلان، كذلك الدال والمدلول يشكّلان كلاً واحداً لا يتجزأ.

ثالثاً: التعسفية والتحفيز في العلامة

من أبرز أطروحات سوسير مبدأ التعسفية، أي أن الرابط بين الدال والمدلول رابط تعسفي لا يقوم على علاقة طبيعية أو منطقية. فكلمة "شجرة" مثلاً لا تحمل في أصواتها ما يدل على مفهوم الشجرة، ولو كان الرابط طبيعياً لكانت كل اللغات تستعمل نفس الكلمة للدلالة على نفس المفهوم. غير أن سوسير أقر بوجود حالات تحفيزية جزئية كالنصريف والاشتقاق حيث يكون الرابط بين الدال والمدلول نسبياً لا مطلقاً. وتترتب على مبدأ التعسفية نتائج منهجية بالغة الأهمية: فاللغة نظام من الاختلافات لا من الثوابت، ومعنى كل علامة يتحقّق من خلال اختلافها عن بقية علامات النظام لا من خلال علاقتها بمرجع خارجي.

رابعاً: القيمة اللغوية

ميّز سوسير بين المعنى والقيمة، فالمعنى يتحدّد بعلاقة الدال بالمدلول داخل العلامة، أما القيمة فتتحدّد بعلاقة العلامة ببقية علامات النظام. ومفهوم القيمة يُعَدُّ من أدق المفاهيم السوسيرية وأكثرها أثراً، إذ يُقرّر أن قيمة كل وحدة لغوية تتحدّد بمعارضتها لوحدة أخرى، لا بذاتها. فكلمة "مطر" مثلاً ليست لها نفس القيمة في العربية والفرنسية، لأن نظام كل لغة يوزّع المجال الدلالي توزيعاً مختلفاً.

ويتصل بهذا المفهوم التمييز بين المحور التركيبي (التعيني) الذي يدرس العلاقات بين الوحدات في السلسلة الكلامية، والمحور المحزائي (الاستبدالي) الذي يدرس العلاقات بين الوحدات القابلة للاستبدال في موضع واحد.

خامساً: اللسان والكلام

أرسى سوسير تمييزاً منهجياً حاسماً بين اللسان والكلام: فاللسان هو النظام الاجتماعي المشترك من العلامات والقواعد الذي يتوقّر عليه مجتمع لغوي معيّن، وهو كليّ ومجرّد ومستقل عن الأفراد. أما الكلام فهو الاستعمال الفردي لهذا النظام في مواقف تواصلية محددة، وهو جزئي وعرضي وسلبّي. واعتبر سوسير أن موضوع اللسانيات هو اللسان لا الكلام، لأن اللسان وحده قابل للدراسة العلمية المنهجية بوصفه نظاماً مستقلاً وقارّراً. وقد أثر هذا التمييز بشكل عميق في تطور السيميولوجيا، حيث أصبح التمييز بين النظام العلامي والاستعمال العلامي أساساً منهجياً في تحليل الظواهر السيميولوجية.

الخاتمة

تُبيّن هذه الورقة أن إسهامات فرديناند دي سوسير في تأسيس السيميولوجيا تتجاوز مجرد التعريف بهذا العلم إلى وضع أسس نظرية ومنهجية لا تزال حاضرة بقوة في الدراسات السيميولوجية المعاصرة. فمفاهيم العلامة اللغوية والتعسفية والقيمة والتمييز بين اللسان والكلام تشكّل الإطار المرجعي الذي انطلقت منه جميع المدارس السيميولوجية اللاحقة، سواء من خلال التأييد أو النقد والمراجعة. ورغم أن سوسير لم يؤلّف كتاباً بنفسه في السيميولوجيا، فإن إرثه النظري يبقى أساسياً لفهم تطور علم العلامات ودوره في تحليل الظواهر الثقافية والاجتماعية واللغوية.

المراجع

دي سوسير، فرديناند. (1916). محاضرات في اللغويات العامة. ترجمة يوثيل يوسف عزيز. دار الشروق.

بارت، رولان. (1964). عناصر السيميولوجيا. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال.

غريماس، ألجيرداس جوليان. (1966). السيميوطيقا البنائية. دار لاروس.

إيكو، أمبرتو. (1976). نظرية السيميوطيقا. ترجمة سعيد بنكراد. دار توبقال.

ماراندين، رينيه. (1987). سوسير. ترجمة محمد سرّيم. دار توبقال.